عارف الحسيني

بطاقة

عارف الحسيني مهندس إلكترونيات وفيزيائي. عمل في مجالات صناعية وهندسية، ونجح بتسجيل عدة براءات اختراع. لم يكتف بالنجاح الذي حققه هو شخصيا، فنقله إلى الأجيال الفلسطينية، حيث أسس مؤسسة "النيزك" التي ترعى آلاف الطلبة الموهوبين علميا وتكنولوجيا في فلسطين. وقد حصلت المؤسسة على جائزة فلسطين الدولية للتميز والإبداع وهي مرشحة لعدة جوائز عالمية أخرى.

صدر له رواية " كافر سبت" .

*** ما الذي أخذك إلى عالم الأدب والرواية بعد هذا الإبداع العلمي..وكيف ولدت فكرة " كافر سبت"..؟**

بدأت رحلتي مع الأدب منذ كان عمري ست سنوات، من هناك بدأت قراءة كل ما يمكن قراءته، مما أدخلني إلى عوالم روحانية وفكرية متعددة ومختلفة، واعتقد أن ذلك ساهم أيضا بتعزيز شغفي بالعلوم التطبيقية والهندسية، في السنوات الأخيرة شعرت أنَّ المخزون الفكري أصبح يفيض بكتابات نقدية ومقالات كثيرة، أمّا عالم الرواية فقد سحرني دوما، وبطعم المتعة الحقيقية بدأت أخط ما أرى وألاحظ حتى تشكل الوعي الروائي الحالي.

obeikandl.com

يسجل لك بداية التشويق والفضول الذي أثرته باختيارك لـ عنوان الرواية. .فما الذي يعنيه هذا العنوان " كافر سبت " . .؟

"كافر السبت" هي ترجمتي المجازية والمتهكمة للوظيفة التي يمنحها اليهود المتدينين لغير اليهودي (مسلم أو مسيحي أو غيره) والذي يقوم بالأعمال التي يُمنع اليهود من القيام بها خلال ساعات السبت (من مساء الجمعة حتى مساء السبت من كل أسبوع)، حيث أمرهم الرب حسب ديانتهم أنْ يستريحوا ويتعبدوا في هذه الساعات، ولذلك ممنوع عليهم مثلا أنْ يشعلوا أي شيء أو أنْ يقودوا السيارات أو القيام بأي عمل غير الراحة والعبادة، لذا فهم يستأجرون خدمات غير اليهود للقيام بالأعمال بدلا عنهم، وفي سياق الرواية المقدسية وفي العموم المطلق والمجازي، غدونا نحن العرب الفلسطينيين القابعين في القدس تحت الاحتلال اليومي والمباشر، وبعد الانحدار السياسي والوطني الذي نعيشه. . غدونا "كفار سبت" عند الإسرائيلي المحتل.

*** لعب المكان، مدينة القدس، دورا مهما وملفتا في الرواية.. فما الذي تعنيه القدس بالنسبة لك.. وهل بقي ما يكتب عن هذه المدينة المقدسة..؟**

أنا ابن القدس وانحدر من عائلة يعود تاريخها بكامل تفاصيله إلى القدس، ولدت وترعرعت وكبرت في أحضان شوارعها وأزقتها، شهدتها وهي ثائرة في الانتفاضة الأولى، وتحسرت عليها وهي مهملة ومتروكة للاحتلال ينهشها في السنوات الماضية. بالنسبة لي القدس هي الحلم، والبيت، والأهل، والحياة الحقيقية، وما بقي أن يكتب عنها هي "الحقيقة" التي لا يريد أحد أنْ يراها. بلَ نُردِّد الشعارات الرنانة ونحن ننكر أنْ المدينة أصبحت بعيدة عن ناسها وشعبها الممتد في الداخل والشتات.

*** رأى عدد من النقاد أنَّ الرواية كانت أقرب إلى مجموعة قصصية منها إلى عمل روائي مُحْكَم.. هل تعتبر هذا مديحا.. وهل جاء مقصودا من قبلك..**

بالتالي كيف تنظر إلى مسألة التمازج بين الأجناس الأدبية، . .؟

في مقدمة الرواية نوهت أن كل قارئ يرى في الرواية ما يراه، وبالفعل هناك الكثير من النقاد والقراء، وصفوا الرواية بمجموعة قصصية في القراءة الأولى، واستطاعوا أن يجدوا الرواية المحكمة في القراءة الثانية، أن التمازج بين الأجناس الأدبية حاضر بقوة في "كافر سبت"، فهي من ناحية ترافق حياة بطلها في مراحل زمنية غير متناسقة، وليست سردية، بمنحى تصاعدي أو تنازلي، وما يحكم في كل فصل هي المفارقات اليومية وليس العمر أو المرحلة، لا شك أنّ هذا التمازج يبدو غريبا ولا يتبع المبنى التقليدي للرواية، ولكن هذه المغامرة موجودة اليوم بين أيدي الجميع لنقدها، والمستقبل سوف يبين مدى استساغتها من عدمه.

إني أعتبر كل نقد هو مديح سواءً أكان النقد سلبيّاً أو ايجابيّاً، لأنني أتعلم من كل فكرة وكلمة ورأي، وهذا هو المهم، "كافر سبت" روايتي الأولى وليست الأخيرة.

*** يمكن اعتبار " كافر سبت" من أهم الأعمال الروائية الفلسطينية التي تناولت العلاقة مع (الآخر) اليهودي بشكل غير نمطي.. حيث رأينا شخصيات يهودية واقعية ومتعددة ومتنوعة؛.. والسؤال كيف تنظر إلى تلك العلاقة..؟**

علاقتنا مع "الأخر" والذي أَحب تسميته باسمه الحقيقي "المحتل". هي علاقة إجبارية وليست طوعية خاصة في القدس وأيضا

في فلسطين ١٩٤٨، لا يمكن تغطية الشمس بالغربال، الاحتلال بشخصياته المختلفة هو من نواجهه كل يوم حين نخرج إلى العمل أو نحتاج العلاج أو نقطع الحواجز العسكرية أو غيرها، هذه العلاقة مبنية اليوم على فوقية وعنجهية منقطعة النظير، من طرفهم، وشعور بالضعف وقلة الحيلة من ناحيتنا، وخاصة بين أبناء الجيل الناشئ في القدس، تقلبت التسميات وتعددت الشخصيات، في الماضي الإسرائيلي كان الجندي المحتل فقط، اليوم الإسرائيلي هو الجندي وصاحب العمل والطبيب في المستشفى والمسؤول في البلدية، وهو من يعين المعلمين والمدراء، وهو من يفتش البيوت لإيجاد الطعام الفاسد ومصادرته، وغيره وغيره هذه العلاقة غير السوية مع المحتل هي ما تلقي بظلالها على العلاقة بين الفلسطيني والفلسطيني أيضا، وللأسف فإني أراها في القدس تؤثر أيضا على تشكيل شخصية الشباب المقدسي.

*** في هذا الإطار كيف تنظر إلى الروايات " الإسرائيلية" الجديدة التي تحاول إظهار الرغبة في التعايش مع العرب، وأين يمكن تصنيفها..؟**

الروايات الإسرائيلية سواء الصهيونية أو غيرها ممن يدّعون أنهم غير صهاينة، تصب في منحى واحد، وهو تزيين صورة " إسرائيل" في الخارج، أو مسكنات ومخدرات لبعض الضمائر الإسرائيلية النادرة، وهي عبارة عن مستحضرات تجميل يضعها النظام الإسرائيلي متى يشاء لإظهار صورته كمحب للسلام والتعايش، مثلها مثل العديد من مؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان الإسرائيلية (ليس جميعها) التي تستخدمها " إسرائيل" كقناع لممارسات عديدة قامعة لشعبنا.

*** أيضا. نبه العديد من الروائيين الفلسطينيين إلى الوضع الخطير الذي تحياه القدس في ظل هجمة التهويد الإسرائيلية، وكيف يهتم الأدباء الإسرائيليون بالكتابة عن القدس، لكي يؤكّدوا لشعوب العالم على أنها مدينة يهودية.. ما رأيك..؟**

نعم، في الأدب الإسرائيلي الحديث تحظى القدس بالقسط الوفير من التركيز والكتابات، وهذا جزء من التخطيط الاستراتيجي لتهويد المدينة، والذي يتبعه الإسرائيلي ون ضمن خطة طويلة الأمد وممنهجة تمتد لعشرات السنين، ونواجهه نحن بردة الفعل العشوائية وغير الممنهجة البتة. ومن هنا أقول أن علينا المواجهة وليس الاكتفاء بالتنبيه، وعلينا إظهار الحقائق ونشرها بطرق إبداعية أهمها الأدب والرواية التي تصل الجميع دون الحكم عليها بالآراء المسبقة التي بثتها وتبثها إسرائيل في الخارج وخاصة بين أوساط المثقفين والسياسيين.

*** كان ملفتا ذلك الربط الذي استطعت تقديمه بين السياسي والاجتماعي والثقافي في المجتمع الفلسطيني بشكل خاص..؟**

في فلسطين، وفي القدس بشكل خاص، كل شيء متشابك، فإن بدأنا الحديث عن الحب، نجد أنفسنا بعد خمس دقائق نغرق في السياسة، وهذا الواقع قمت بعكسه في شخصيات الرواية وحبكتها الدرامية، وربما كان هذا احد عناصر التشويق المهمة، لأننا نعيش في القدس داخل دائرة مغلقة بجدار الفصل العنصري، ومتشابكة في جميع تفاصيلها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وهذا التشابك ما أردت إيصاله أيضا عبر الرواية.

*** ربط النقاد بين ميلك إلى السخرية والكوميديا السوداء في الرواية.. و " متشائل" ايميل حبيب..ما قولك..؟**

يشعرني ذلك بالخجل الكبير، فالأديب الكبير العملاق اميل حبيبي، هو أحد ركائز الرواية الفلسطينية المعاصرة، يشرفني ربط النقاد "كافر سبت" "بالمتشائل" ويضع ذلك حملاً آخر على كاهلي يدفعني إلى تكثيف العمل لأستحق هذا الربط والتشبيه. الكوميديا السوداء هي جزء لا يتجزأ من أسلوبي الروائي ومن شخصيتي أيضاً، وأعتقد أنه جاء الوقت لنقدم الواقع بتهكمية تدفع إلى التفكير أملا بالتغيير.

*** هل ترى أنك فعلا تشكل استمراراً وامتداداً لـ أميل حبيبي و محمود شقير.. على هذا الصعيد..؟**

آمل ذلك، وأتمنى أنْ نستطيع سويّاً رفد الثقافة والأدب الفلسطيني المعاصر بالأعمال الأدبية النوعية التي تساهم في إغناء الروح الإنسانية بمزيج من الألم الفلسطيني غير المستجدي والأمل بالمستقبل.

*** استوقفتني لغتك الفصحى حينا والعامية " المقدسية" حينا آخر..؟**

اللهجة واللكنة المقدسية الأصيلة بدأت تتلاشى في ظل التنوع الديمغرافي في القدس، لذا أحببت أنْ تتسم الرواية بالطبعة المقدسية البحتة، وهذا كان سبب استخدام المفردات المقدسية، وربما أيضا تفسيرها في الهوامش، أمّا اللغة الفصحى فهي شغفي الدائم بعد الهندسة والفيزياء!

*** وصفت "كافر سبت" بأنها أقرب إلى لوحة فنية تصور المأساة الفلسطينية من بداياتها الأولى وحتى نهاية الانتفاضة الثانية وما بعدها، أو يمكن القول إنها رواية التفاصيل الصغيرة للحياة الفلسطيني تحت الاحتلال..ماقولك..؟**

أوافقك الرأي بالمطلق، "كافر سبت" جميعها أو بعض منها هي قصتنا جميعا، في كل بيت يوجد "نبيه" بطل القصة، أو أجزاء من نبيه على الأقل، فنحن شعب تمرد على القهر وما زال يتمرد عليه سواء بالنضال والأمل بالحرية أو حتى بمواصلة العيش اليومي مع التفاصيل الصغيرة التي يخنقنا الاحتلال باستغلالها لهدم منظومة العزيمة والصبر لدينا.

*** بعكس الاهتمام بالمكان، كان هناك محاولة تجاهل للزمان، وعدم توضيح للتسلسل الزمني..هل كان هذا مقصودا..؟**

نعم، كان مقصودا ومتعمدا، فالزمان نسبي في تاريخنا الفلسطيني الذي - وللأسف - يكرر في بعض الأحيان المآسي ذاتها دون الاكتراث لمزاجية الزمن وحيثياته، أمّا المكان فهو الثابت الوحيد الذي يجب أن تشير إليه كل بوصلة وطنية شريفة، القدس بكامل خلجاتها.

*** شخصية البطل نبيه نفسها كانت غير مقنعة أحيانًا بسبب كثرة تنقلها بين أعمال كثيرة دون مبرر حينا و دون اهتمام أو توضيح للتسلسل الزمني..؟**

شخصية نبيه هي فريدة ونوعية وتمثل الشريحة الشبابية الأكبر في القدس مجتمعة في شخص واحد، اقتناع القارئ بها يعود بالعادة إلى معرفته السابقة بالحقيقة أو بالوجه المظلم منها، كما قلت يوما وأنا أكتب هذه الرواية: "للحقيقة وجهان يسكن أحدهما في الظلام". فمن الصعب جدا أنْ يتخيل من لا يعاصر القدس بوجهها اليومي بأزقتها وناسها أن يتخيل أنَّ هذا ما يقوم به كل من يعيش في ذلك المكان.

*** تناولت بالنقد موقف بعض المثقفين (عرباً وفلسطينيين).. وانشغالهم بالهم الشخصي على حساب الهم العام.. وسؤالي كيف ترى دور المثقف في مايحدث..؟**

إني لا املك تعريفاً واضحاً للمثقف في يومنا هذا! ربما الجدل هو حول النخبة الفكرية غير البرجوازية أو الرأسمالية، وإنْ كان كذلك فيجب عليها أنْ لا تهزم أو أنْ تبث الهزيمة لتحمي استنكافها أو تنحيها جانبا في المرحلة التاريخية التي نمر بها.

*** في ذات الإطار تطرقت في الرواية إلى المثقف ماقبل أوسلو وما بعده.. فكيف ترى طبيعة العلاقة التي يجب أنْ تربطه بالسلطة السياسية بشكل عام..؟**

المثقف أو المفكر أو غيره ليس بالضرورة أنْ يكون على عداء مع السلطة السياسية، في بعض الأحيان نختلف في الرأي كما حصل مع شاعرنا محمود درويش بعد أوسلو، ولكن هذا ليس من المفروض أن يغدو علاقة هدم وليس بناءً، بعد أوسلو اختلف الوضع ربما للأسوأ على صعيد المشروع الوطني الفلسطيني، ولكننا جميعا، مثقفين وكتاب وعلماء وسياسيين في الوطن وفي الشتات نعتلي المركب ذاته، والعلاقة يجب أن تكون تكاملية، نصعد بها إلى التحرر من الظلم والاستعباد.

*** اتسمت روايتك بالواقعية بشكل عام..والسؤال هل يمكن للكاتب أن يكتفي بأن يكون شاهد عيان، يقوم بمهمة التصدي لمحاولات الإخفاء والتدليس.. أم لابد دائما من جرعة من الخيال في أعماله..؟**

الخيال هو السحر الكامن في الأعمال الروائية الجيدة، فالواقعية هي لنقول "لا تخدعونا نحن نعلم ما نعلم" والخيال هو لبذر الأمل الجميل.

*** لفتتني نهاية الرواية وصمود الإنسان الفلسطيني واستمراره بالعيش في القدس، يحدوه الأمل كي يحقق المستحيل الثالث، ألا وهو زوال الاحتلال، وعودة القدس عاصمة للشعب العربي الفلسطيني.؟.**

قال العظيم محمود درويش في لاعب النرد:

من حسن حظِّ المسافر أن الأمل توأمُ اليأس، أو شعرُهُ المرتجل حين تبدو السماءُ رماديّةً وأَرى وردة نَتَأَتْ فجأةً من شقوق جدارْ لا أقول: السماء رماديّةٌ بل أطيل التفرُّس في وردةٍ وأَقول لها: يا له من نهارْ!

وأنا أقتبس وأقول لجميع المقدسيين في القدس وخارجها ولجميع شعبنا البطل في الوطن والشتات في نهاية الرواية " يا له من نهار! "

ربما نغير إستراتيجيتنا، ربما تتغير أسماءنا ووجوهنا، لكننا سوف نبقى هنا... مقموعين ربما... لكننا غير مهزومين.

*** سؤال أخير.. هل هناك عمل جديد في جعبتك..؟**

نعم، سحرني ويسحرني عالم الرواية حتى بت شغوفا فتياً، أعمل على رواية جديدة، مختلفة بعض الشيء، وتولد تفاصيلها مع كل فجر نهار جديد. وأتمنى أن أتمكن من إنهائها حتى نهاية العام المقبل.

obeikandl.com